عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فعل ذلك او معطوف على علة محذوفة اى ولكن الله
رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين والبلاء يطلق على النعمة والمحنة لان اصله الاختبار وذلك
كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله اظهار ما علم كما علم
لا تحصيل علم ما لا يعلم لانه تعالى منزه عنه قيل ضمير منه يعود الى الظرف بالمشركين وقيل على الرمى و
الظاهر انه يعود على الله تعالى وكان فى الاصل صفة لبلاء فلما قدم عليه انتصب حالا ومعنى تعظيم البلاء
وتفخيمه والظاهر ان بلاء اسم مصدر يبلى اى ليبليهم ابلاء حسنا ومعنى بلا درر من عبارة المص انه حمله على نفس
الشئ المبلو على طريق اطلاق المصدر على المفعول حيث قال وينعم عليه نعمة عظيمة قوله ومحله الرفع
اى على انه خبر مبتدأ محذوف اى المقصود او الامر ذلكم وهو القتل او الرمى او الابلاء وان توهين كيد الكافرين
وميلهم على ان يكون قوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بقتل خيارهم واسر اشرافهم والقاء
الرعب فى قلوبهم قوله وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف وغير حفص يقرؤن لفظ موهن
ينصبون كيد الا الحرميين وابا عمرو ومن قرأ موهن بالتنوين يقرؤن موهن بفتح الواو وتشديد
الهاء والباقون من اصحاب البيوت يقرؤن موهن باسكان الواو وتخفيف الهاء قوله خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم حيث عبر عما جاءهم من الخزى والخذلان بالفتح على سبيل الاستعارة التهكمية
اى يستنصرون الى اهل لاهدى الفئتين واكرم الجندين فقد جاءكم النصر ولا شك انه تهكم بهم واستهزاء
روى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل الفريقين واحقهما بالنصر وروى انه قال اللهم
اينا كان اقطع للرحم واتى بما لا يعرف فاهلكه غداة عا على نفسه بغاية جهله وروى عن ابى بن كعب انه
قال هذا الخطاب للمؤمنين قال الله تعالى لهم ان تستفتحوا اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وذلك
ان المسلمين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابهم من المشركين وهو متوسد
ببردة له فى ظل الكعبة وقالوا له الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا فجلس محمارا لونه او وجهه
فقال لهم لقد كان لكم من قبلكم ليؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق
رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دين الله ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من
عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دين الله وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من
صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله ولكنكم تعجلون الا ان المفسرين على انه خطاب للكفار قوله
ويؤيد ذلك اى ويؤيد كون الخطاب السابق للمؤمنين خطابهم بالامر بطاعة الله
وطاعة رسوله فان هذا الخطاب يستدعى كون الخطاب السابق لهم لكونه بمنزلة بيان الحكمة
فى مجيئ الفتح والنصر لهم كانه قيل انما نصرتكم على اعدائكم لتتمكنوا من طاعة الله تعالى وطاعة
رسوله ويكون الدين كله لله فعليكم طاعة الله فيما كلفكم به قوله ولا تولوا عنه اصله لا تتولوا
حذفت احدى التائين للتخفيف افرد ضمير عنه مع ان المذكور قبله اثنان وان المامور به
طاعتهما لان طاعة احدهما فقط تنبيها على ان طاعة الله انما تكون بطاعة رسوله وقيل افرد الضمير

افرد الضمير لكونه راجعا الى الجهاد المدلول عليه بسوق الكلام لان الكلام من اول السورة الى هنا
مسوق لما يتعلق بالجهاد او الى الامر المدلول عليه بطاعة الله اى لا تتولوا عن هذا الامر الذى هو
طاعة الله وطاعة رسوله وانتم تسمعون وجوب اسماع فهم والتصديق قوله كالكفرة والمنافقين
فان الكفار المجاهدين بالكفر والتكذيب يقولون سمعنا وعصينا والمنافقين يدعون السماع و
القبول بالسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب فلا ينتفعون بقولهم بالسنتهم سمعنا لانهم ليسوا
مصدقين فكانهم غير سامعين اصلا وراسا فلذلك قال تعالى فى حقهم وهم لا يسمعون قوله شر
ما يدب على الارض على ان يحمل لفظ الدابة على معناه اللغوى قوله او شر البهائم على ان يحمل
على معناه العرفى فان اهل العرف العام نقلوه من الوصف وجعلوه اسما للبهائم وجمع الصم
مع انه خبر شر حملا على المعنى لانه يراد به الجنس والكثرة قوله ولو علم الله فيهم اى فى هؤلاء الصم
البكم خير سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات الاول عبارة عن السعادة الاخروية من النجاة
عن دركات النيران والفوز بدرجات الجنان والثانى عبارة عن التنبه بالحجج وهو اعطاء التوسل
بها الى الايمان واليقين والمعنى لو استقر فيهم خير وهو استعداد قبول الحق والاستعداد التام له
لاسمعهم الله بالحجج وهو اعطاء سماع وقبول ولو اسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا و
قبلوا وباشروا العمل بمقتضى ما فهموه لما استمروا عليه بل تولوا عنه سريعا باتباع الشهوات
النفسانية والحظوظ العاجلة او بالارتداد عن الحق بعد القبول والتصديق لكونهم مجبولين
على ايثار العاجل على الآجل معرضين عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله بوجوده فيهم لان كل ما وقع
واستقر يجب ان يعلم الله بحصوله ووجوده فعدم علم الله بوجود الشئ من لوازم عدمه فى نفسه
فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم مقام ان يقال لو كان فيهم خير لاسمعهم
لكونه ابلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفى لازم الشئ نفى لنفس ذلك الشئ ببينة فيكون
ابلغ من نفى ذلك الشئ وفى الاية اشكال من حيث ان النحويين يقولون كلمة لو موضوعة للدلالة
على انتفاء الشئ لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لو جئتنى لاكرمتك افادت انه ما حصل الاكرام
لعدم حصول المجيئ فقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يدل على انه ما حصل الاسماع لعدم
حصول الخير فيهم وقوله ولو اسمعهم لتولوا يدل على انهم ما تولوا عن الحق لعدم اسماع الله تعالى
اياهم ذلك ومن المعلوم ان عدم التولى عن الحق خير فيكون آخر الكلام مناقضا لاوله لان
اوله يدل على عدم حصول الخير فيهم وآخره يقتضى حصوله فيهم واجيب بان كلمة لو فى الاية لمجرد
الشرط والبيان اللزوم مع قطع النظر عن انتفاء اللازم لاجل انتفاء الملزوم كما فى قوله عليه
السلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان لفظ فيه لو افادت ما ذكره النحاة
فصارت المعنى انه خاف الله وعصاه وذلك تناقض فثبت انها لا تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره
وانما تفيد مجرد استلزام الاول الثانى ثم ان عدم الخوف اذا كان مستلزما لعدم العصيان فكون

Copyright © King Saud University